الخبايا العدائية
في المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر

الأستاذة : ليليا شنتوح كلية العلوم الإسلامية ملحقة الخروبة

نقصد بالمشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر هو المخططات التي رسمتها فرنسا وطبقتها واقعيا في الفترة الممتدة من 1830م إلى غاية 1962م، والتي تعتبر نموذجا للحرب الشرسة التي استعملت فرنسا فيها كل أنواع الأسلحة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، وأبشع أساليب الترغيب والترهيب، بهدف القضاء على كل مقومات الشعب الجزائري الدينية والاجتماعية والثقافية، وترسيخ ثقافتها الغربية وتقديمها بديلا للثقافة العربية الإسلامية الموجودة وأصدق من عبر عن هذا المشروع الاستغرابي الكاتب الفرنسي أوغستان بيرنار (Augustin Bernard)، بقوله:(إننا لم نحضر للجزائر لإقرار الأمن، بل لنشر الحضارة واللغة والأفكار الفرنسية، وليست الجزائر مستعمرة كالهند الصينية، ولا هي دومينيون مثل كندا، ولكنها جزء من فرنسا كانت أيام روما، إننا نريد أن نجعل منها جنسا يندمج فينا عن طريق اللغة والعادات..)[1].

وإذا كان هذا هو المشروع الثقافي الفرنسي في الجزائر الرامي إلى ترسيخ ثقافته الغربية، فإننا نتساءل: عن ماهية الأساليب والطرق التي استخدمتها فرنسا لتنفيذ هذا المشروع الثقافي الاستغرابي؟، ثم كيف كان موقف الشعب الجزائري إزاء هذه العملية المسخية؟، وهل نجحت تلك الأساليب في تحطيم البنية الثقافية للمجتمع الجزائري ؟.

---

(1) الطيب بن ابراهيم : الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه، ط1، الجزائر، المنابع للنشر والتوزيع، ص.104

ومن هنا سنتناول في هذه الدراسة النقاط التالية:

1- أساليب الاستعمار الفرنسي لتنفيذ المشروع الثقافي الغربي.

2- موقف الشعب الجزائري منها.

3- جهود جمعية العلماء المسلمين.

4- نتائج المشروع الاستعماري الفرنسي.

1- أساليب الاستعمار الفرنسي لتنفيذ المشروع الثقافي الغربي:

اعتمد الاستعمار الفرنسي على مجموعة من الأساليب والطرق للقضاء على الثقافة العربية الإسلامية نذكر منها ما يلي:

أ- إنشاء الطباعة والصحافة بالجزائر

تجدر الإشارة هنا أن أول مطبعة أدخلت إلى الجزائر كانت في عهد بورمون، حيث أنشأت جريدة "الاسطافيت دالجي" بعد أربعة أيام من نزول جيش العدوان في سيدي فرج، وكانت تاريخية وسياسية وعسكرية، سميت مطبعتها بالأفريقية، واحتفل بها الجنود على أنها مطبعة فرنسية في بلاد البدو وظلت تخدم الاستعمار إلى فاتح القرن الحالي[1].

ومن هنا نلاحظ أن الاستعمار الفرنسي قد سعى منذ البداية لإيجاد قنوات إعلامية ليحدث نوعا من التقارب بينه وبين الشعب الجزائري، وهذا بفسحه المجال لظهور صحافة تقوم بتحسيس المجتمع الجزائري أن مهمة فرنسا هي الإسهام في ترقيته، وإخراجه من دائرة التخلف، وكأنه يريد لهذه المهمة تأسيس أرضية مرنة يطمئن إليها الجزائري ويثق بها، وبالتدرج يشجعه على المساهمة في بنائها والمحافظة

(1) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ط4، بيروت: لبنان، دار الغرب الإسلامي،1992، ج1، ص 83-84.

عليها ليصل في النهاية إلى أن وجود الاستعمار الفرنسي ضرورة واقعية فيقبله ويتكيف معه.

ومن الأمثلة على ذلك أننا عندما نلقي نظرة على بعض الجرائد التي ظهرت في فترة الاحتلال، فأول ما يستدعي انتباهنا أنها تحمل عناوين مثيرة وغريبة، غالبا ما تكون مرتبطة بالجزائر، لتوهم القارئ بأنها تعنى بقضايا المجتمع الجزائري وأوضاعه، وهذا ما حاول الزبير سيف الدين من خلال كتاب الموسوم بـ "تاريخ الصحافة في الجزائر" أن يبينه، مؤكدا أن معظمها يصب في قالب واحد، وهو تمثيل سياسة فرنسا في مواقفها السياسية الخارجية والداخلية والدفاع عن قضايا المستوطنين[1].

ومن هنا فالصحافة في الجزائر أنشأت من أجل خدمة الاستعمار الفرنسي لا خدمة ثقافة وقضايا المجتمع الجزائري.

ب- دور الترجمة

لعبت الترجمة دورا كبيرا في المشروع الاستعماري الفرنسي الرامي إلى التوسع والسيطرة والانتشار، وقد اعتمدت فرنسا في سبيل تحقيق هذه الأهداف على مجموعة من المستشرقين، الذين تولوا مهمة ترجمة المراسلات بين الفرنسيين والجزائريين والدول العربية مثلما تولوا إدارة مكاتب الشؤون العربية وكل ما يتعلق بالطباعة و التأليف في الجزائر.

وقد عملوا منذ البداية على التنسيق بين الفرنسيين والجزائريين، بل بين الحضارتين العربية – الإسلامية والأوربية بحيث حاولوا أن يعرفوا كل طرف بثقافة الآخر، كالذي قدمه أوغست مارتن (August Marten) حين كتب للجزائريين

(1) الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر، د.ط، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1982م، ج3، ص 13.

كتابا عن تاريخ فرنسا السياسي وعن ملوكها بعنوان: "السيرة السنية في أخبار ملوك الدولة الفرانصوية" جاء في 180 صفحة، وكان الهدف من ذلك توصيل رسالة الحضارة والمدنية الفرنسية إلى عامة الجزائريين ليقتنعوا بها ويتقبلوا الاستيطان الأوربي ، وهو الأمر الذى قام به بعض الجزائريين حين تقبلوا السياسة الفرنسية وقام بعضهم فيما بعد بدور المترجم في الإدارة الفرنسية[1].

ت- استقدام الفنانين

رافق الحملة الفرنسية عددا من الفنانين و الرسامين للمساهمة كذلك في إعلاء مكانة الأمة الفرنسية بتخليد صور المعارك و الحروب التي خاضها الجيش الفرنسي ضد الشعب الجزائري[2]، وقد قام الرسامون بدور كبير في رسم لوحات تحلل المجتمع الجزائري، اجتماعيا وثقافيا ودينيا وتوظيف ذلك لخدمة الاستعمار والتبشير كإظهار الفوارق العرقية بين المسلمين، وتصوير المرأة في صور قهر بسبب الإسلام وغير ذلك.

كما قاموا بعرض صور لمناطق شتى للطبيعة الجزائرية والحياة الاجتماعية، ثم التركيز فيها على المرأة الجزائرية مثل ما فعل أوجي ندي لاكروا الذي تعد لوحته نساء الجزائر من أشهر أعماله الفنية، بعد دخوله لأول مرة إلى عائلة جزائرية مسلمة وتصويره نسائها وهو ما لم يتح لغيره من الفنانين الفرنسيين[3] حيث سعى لاكروا إلى استحداث عقيدة فنية جديدة في ألواح ذات ألوان دافئة في موضوعها تتواءم مع المهمة المتعلقة بكشف الخصائص العقلية والنفسية والاجتماعية للبنى

(1) احميدة عميراوي: قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر: دار عين مليلة، 2005م، ص 135

(2) زينات بيطار، الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي، سلسلة عالم المعرفة، د.ط، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1992م ،ص 226

(3) المرجع نفسه، ص 226-233

التحتية للشعب الجزائري بصفة خاصة والشرقية بصفة عامة ، ويبدو ذلك من خلال لوحاته ضمنها مشاهد لحفلات زواج في المجتمع الجزائري كان حضور عنصر المرأة بارزا فيها[1].

ث- الاهتمام بالتاريخ القديم للجزائر وإحياء النزعة العرقية

حاول الاستعمار الفرنسي تأصيل تاريخ الجزائر وفق منظور المشروع الثقافي الاستعماري حيث تطلب تنفيذ هذا المشروع جهود مكثفة من قبل العلماء والكتاب ولاسيما منهم المؤرخين المهتمين بالتاريخ عامة وبتاريخ الجزائر خاصة، فإلى جانب ما قامت به الصحف والقادة العسكريين أنشأت العديد من اللجان العلمية[2].

ثم قامت بنشر دراسات هامة في عدة أجزاء عن الآثار والعلوم الطبيعية والفنون الجميلة ، والتاريخ وعلم السلالات والجمعيات الأثرية[3]، التي كانت تصدر دوريات ومجلات هامة كمجموعة Recuiel والتقويم Annoaire والمجلة الأفريقية Revue Africaine ونشرة جمعية وهران Bulletin ثم المكتبات كمكتبة متحف الجزائر 1835م والمكتبات العسكرية والمتاحف وهلم جر.

كما قام المؤرخون الغربيون من جهة أخرى على تنسيق حوادث تاريخنا خارج السياق الثقافي العربي الإسلامي الجزائري[4]، ولقد بدأ وفقا لهذا اهتمام الفرنسيين

(1) زينات بيطار: الاستشراق في الفن الرومانسي، ص233.

(2) اللجان العلمية هي: اللجنة الأفريقية 1833م، ولجنة اكتشاف الجزائر سنة 1837م.
انظر: أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 14.

(3) الجمعيات هي: جمعية قسنطينة للأثار 1852م، والجمعية التاريخية الجزائرية 1856م، وجمعية وهران الأثرية 1878م، انظر: سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ص 15-17.

(4) عبد الجليل التميمي: التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الغربيين، العدد 1، جانفي 1974م، ع 5، ص 12

بالآثار القديمة بحيث انصبت اهتمامات البحث على هذه الآثار لاسيما الرومانية، ومن هنا فقد وظف الاستعمار كل إمكاناته من أجل الاستراتيجية الاستعمارية لإظهار غموض تاريخ الجزائر، وفقر إسهاماتها الحضارية وسلبيتها[1]، وعليه فقد حاولوا طمس الآثار العائدة إلى الفترة الإسلامية لبلاد المغرب عموما، وللجزائر خصوصا فيظهر اسم تيمقاد وجميلة وتيبازة وبونة وغيرها إلى الواجهة العلمية والسياحية[2].

والواقع أن غرضهم من خلال إحياء تاريخ ما قبل الإسلام هو إضعاف الإسلام في نفوس المسلمين، وضرب الوحدة الوطنية في الصميم وإرجاع الأهالي إلى الجاهلية النصرانية، وذلك بتحويل وجهة الناس حكاما ومحكومين إلى القوميات بغرض نبذ الإسلام وراءهم ظهريا، وهذا ما عبر عنه فراينوا يورغاد بقوله: (تحدثوا لهم عن تاريخهم، أعطوهم فكرة عمن كانوا في الماضي في هذا الربوع قبل الفتح الإسلامي، إن احترامكم لتراثهم هو وسيلة فعالة تجعلهم يحترمون تراثنا النصراني، ذلك بأنهم سيقتنعون بأنهم كانوا نصارى فيحنون إلى النصرانية)[3]، وبهذا فإن الدعوة إلى إحياء البربرية يفرض تجديد الحضارة النصرانية السابقة في المنطقة بغرض بث البلبلة، وتشكيك المسلمين في دينهم، وإرجاع للمسيحية ما فقدته بمجيء الإسلام، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف ألف فرانسوا بورغاد كتابه باللغة اللاتينية vision d`or de la langue phénicienne سنة 1856م، أراد من خلاله تجديد

(1) عبد القادر خليفي: السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر مقال منشور موقع الشهاب
http://chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid=1069

(2) المهدي بوالعبدلي: موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر، مجلة الأصالة، سنة 1973م العدد 14، ص 43

(3) عمر محمد الحربي: التبشير وعلاقاته باستعمار البلاد التونسية(1830م-1881م)، د.ط، تونس: كلية الزيتونة للشريعة، د.ت، ص 56

الروح البربرية لإدراكه بأنها ثغرة مهمة يمكن من خلالها تشتيت المسلمين وتمزيق وحدتهم ، مما يضعف قواهم ويمكن فرنسا من رقابهم، فتستقر في المنطقة[1]، وتصبح ثقافتها هي السائدة في ربوع البلاد.

والشيء نفسه بالنسبة إلى لافيجري حيث زعم هذا الأخير أن البربر كانوا نصارى لأن بلادهم كانت تابعة لروما والإسلام إن هو إلا دخيل عليهم قهرا، ولذلك يجب محوه وإرجاعهم إلى أصلهم النصراني[2]، ولتحقيق هذا الهدف أخذ ينقب في تاريخ الكنيسة الإفريقية وقديسيها، واستعان بنخبة من المتخصصين[3] واعتبر نفسه محيي أمجادها، وظهر هذا في خطبه ورسائله، ففي محاضرة ألقاها على الآباء البيض في البيت المربع بالجزائر العاصمة وجعل عنوانها: "كيف انتشر الإسلام في منطقة شمال إفريقيا" قال فيها: (منذ 13 قرنا والإسلام يعيش في هذه المنطقة بعد إزاحته هيبة الإمبراطورية الرومانية عن هذه الربوع، واستطاع أن ينجح دون أي قاعدة شرعية، ولا برهان ديني وما هيمنته على هذه المنطقة إلا نتيجة تركيزه على العاطفة والقوة والقهر، وعليكم أن تعلموا أن هذه الأرض بالجزائر صليبية الأصل، مسيحية العقيدة والحضارة، علينا واجب تطهيرها من أدران الشرك الموجودة الإسلام)[4].

(1) المرجع نفسه، ص56

(2) المرجع نفسه، ص 52-53

(3) يعد الأسقف دبيش (Antoine Adolphe Dupuch)أول أسقف بالجزائر بعد أحداث أسقفيتها في 8 أوت 1838م من أبرو الذين كرسوا جهودهم لإثبات كاضي الجزائر النصراني، وذلك بتأليف كتاب الجزائر المسيحية الرومانية الفرنسية حيث حاول فيه إيجاد ماضي النصرانية بإفريقيا وايتمراريتها، انظر: خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871م، دار دحلب، ص 47-73

(4) خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية ، ص73.

ومما يجب الإشارة إليه في هذا المقام أن هذه القضية طورت فيما بعد وربطت بفكرة التجنيس فجاء كل من شانتر وبركولون Chantres et bertholon وأعلنا أن الأقيسة الأنثربولوجية تفيد أن الدماغ البربري والدماغ العربي مختلفان[1]، و لم يتوقف عملهم عند هذا الحد فجاء الجنرال دوماس –وهو أحد العسكريين الذين اهتموا بعادات وتقاليد بلاد القبائل– فذكر أن أهل بلاد القبائل مازالوا يحتفظون بقوانين قديمة لا تتفق مع تعاليم القرآن الكريم، و أنهم يميلون إلى أفكار الفرنسيين، قائلا:(كلما حفرنا هذا الجذع القديم وجدنا تحت القشرة الإسلامية الأصول المسيحية، وبهذا نصل إلى أن سكان القبائل جرمانيو الأصل، عرفوا المسيحية قديما وقد قبلوا القرآن ولكنهم لم يعملوا به).

وكان الأب دوقا من رجال الدين الذين عكفوا على دراسة هذه المنطقة من الجزائر فقد اعتقد بأن الديانة المسيحية ستعمل على فرنسة القبائل، وذلك عن طريق التعليم الديني، واستشهد هذا الأخير ببعض الآثار التي يقول عنها أنها بقايا مسيحية منها الوشام ذو الشكل الصليبي الذي يوجد على جبهات النساء وأيديهن وعلى مدخل البيوت، ومن الآثار أيضا وجود قرية قرب جمع الصهريج تسمى أمصلوب أي المسيح يعتقد دوقا أن سكانها لا يزالون يحتفظون بالديانة المسيحية.

ويبدو أن هذه الاستشهدات لا أساس لها من الصحة فالوشام تستعمله المرأة في مختلف القرى الجزائرية دون قصد أو غرض ديني، وما هي إلا شكل من أشكال الهندسية التي تزين بها سجادات أغلب أنحاء الجزائر وهو ليس خاص بالجزائر فقط بل هو موجود بالمشرق أيضا، ثم إذا كان رمزا دينيا كما يذكر الأب دوقا فلماذا يستعمله المسيحيون الأوربيون أنفسهم.[2]

(1) انظر: عثمان العكاك : التبشير والتخطيط التبشيري، ص143

(2) خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر، ص 140-141

ومن خلال هذا النشاط المكثف سواء للكتاب أو المؤرخين نستنتج أن هؤلاء اتبعوا منهجا يختلف كل الاختلاف عن المسار الطبيعي للتاريخ الجزائري، في حين أن كتاباتهم كانت متناسقة ومنسجمة كثيرا مع التاريخ الأوربي و المشروع الاستدماري والاستلاب الفكري والثقافي المخطط له.

ج- تشويه وتغيير الأسماء والألقاب

أنشأ الاستعمار الفرنسي في الجزائر الحالة المدنية في أواخر القرن التاسع عشر، وبالضبط في يوم 23 مارس 1882، حيث صدر القانون المتعلق بإنشاء الحالة المدنية للأهالي المسلمين في الجزائر، ثم صدر المرسوم التطبيقي التابع له في 13 مارس 1883م، وجاء في المادة الثالثة من هذا القانون: (وجوب أن يختار كل جزائري لقبا أو اسما عائليا خلال فترة إنشاء الحالة المدنية والسجل الأم (RIGISTREMATRICE)، وعندما ينتهي أعمال تأسيس الحالة المدنية وتقع المصادقة عليه من قبل السلطة الإدارية المختصة، فإن استعمال اللقب يصبح اجباريا ولا يمكن العدول عنه أو استعمال غيره..)[1].

ففرض الاستعمار الفرنسي بذلك على الجزائريين أسماء لا هي عربية ولا هي أعجمية، إمعانا في تشويه الشخصية الجزائرية، والواقع أن الاستعمار الفرنسي كان يدرك أهمية الأسماء باعتبارها وعي الإنسان بكينونته الوجودية وبصيرورته التاريخية والحضارية، وبهويته الذاتية والاجتماعية والوطنية.

وكان الغرض من هذا القانون هو قطع الصلة بين الجزائريين وأسمائهم وألقابهم التي تربطهم بأصولهم وتذكرهم بأمجادهم.

(1) عبد العزيز سعد: نظام الحالة المدنية في الجزائر، ط1، الجزائر: دار هومة، دت، ص43.

وهكذا وبعد أن كانت أسماء الجزائريين وألقابهم و أنسابهم تحتوي على القيم الاجتماعية والثقافية والحضارية والدينية غيرت إلى معجم لـ:

1- الحيوانات والطيور الأليفة والمتوحشة مفردة وجمعا.
2- الحشرات بأشكالها وأنواعها.
3- الأدوات الفلاحية والحرفية وغيرها.
4- النباتات والبقول والحبوب.
5- الحرف والمهن المختلفة.
6- العيوب والعاهات الجسدية و الأمراض والفضلات والروائح الكريهة.
7- المأكولات والمشروبات.
8- الألوان المختلفة.
9- الأفعال المرفوضة خلقيا واجتماعيا[1].

ومن هنا يمكننا القول أن فرنسا كانت تريد من خلال هذا العمل والمتمثل في تغيير الألقاب وربطها بأعضاء الإنسان والحيوانات والحشرات وحتى المأكولات والمشروبات القضاء على الثقافة العربية الإسلامية، وربط الجزائري المسلم بكل ما هو حقير، وتحسيسه من خلال لقبه أنه دون الإنسان الأوربي مكانة.

ح- تحطيم الجهاز القضائي الإسلامي

يعتبر التشريع الإسلامي المصدر الرئيسي لسير وتنظيم الجهاز القضائي الجزائري الإسلامي، وعليه فإن الاستعمار الفرنسي الذي لم يكن يجهل مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصالة الأمة الجزائرية قد صرح علانية أنه (لا يمكن إخضاع المنتصرين إلى تشريع المنهزمين)، فقام بإلغاء العمل بالقوانين الجزائرية وإحلال قوانينهم محل

(1) آسيا شلابي: الاحتلال الفرنسي وجريمة الألقاب، الشروق أون لاين، يوم 2013/06/20م انظر:
http://www.echoroukonline.com/ara/articles/168801.html

قوانين الشريعة الإسلامية، وهذا بطبيعة الحال لإخضاع الأمة الجزائرية للتشريع الفرنسي، حيث صدر في 22 فيفري 1841م أمر بتزع سلطة القاضي في أحكام الجنايات والجنح وجعلها من اختصاص محكمة الاستئناف الفرنسية.

وتواصل العمل الاستعماري بشن حربه العدوانية من دون هوادة على الشريعة الإسلامية وتنظيمها القضائي المحكم بإصدار مرسوم في ماي 1848م ينص على فرض رقابة مشددة على المحاكم الإسلامية.

وفي أكتوبر 1854م صدر قرار إمبراطوري يأمر بإعادة تكييف القضاء الإسلامي حتى يتسنى إخضاع الجزائريين تدريجيا للقانون النابوليوني، حيث كتب وزير الحربية إلى نابليون الثالث بمناسبة هذا القرار ما يلي: (سيدي إن إدارة القضاء (الإسلامي) مرتبطة ارتباطا وثيقا بمقومات المجتمع (المسلم) الذي يستمد نفوذه السياسي والديني والمدني من القرآن الكريم) [1].

وعندما رفض الجزائريون المسلمون التخلي عن القوانين والشريعة الإسلامية، و لم يعرضوا قضاياهم على المحاكم الفرنسية، قرر المستوطنون الأوربيون توجيه ضربات قوية إلى نظام العدالة الجزائري حيث صرح الحاكم دوقيدون يوم 22 مارس 1874م قائلا:(إن العدالة تدخل في إطار السيادة وعلى القاضي الفرنسي وعلى كل واحد أن يفهم أننا الغالبون)[2].

ومن هنا نجد أن الاستعمار الفرنسي حاول القضاء على كل ما هو إسلامي واستخدم سلاح العدالة لقمع الجزائريين المسلمين، وذلك عن طريق تطبيق القوانيين

(1) صالح فركوس: الموجز في تاريخ الجزائر، دط، عنابة: الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2002م، ص221.

(2) عمار بوحوش: التاريخ السياسي الجزائري من البداية ولغاية 1962م، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي،1998م، ص174.

الفرنسية عليهم وتشكيل مجالس القضاء من الفرنسيين فقط وإلغاء العمل بالقانون الجزائري المبني على الشريعة الإسلامية.

خ- القضاء على التعليم العربي

لم يكتف الاستعمار الفرنسي بعد دخوله إلى الجزائر ، بتجريد الإنسان الجزائري من أرضه، ومسخ شخصيته بل عمل على إفساد الأفئدة والعقول، وقد تجلى عمله التخريبي هذا في إغلاق المساجد والمدارس وهدم الزوايا التي كانت تعلم العربية، ويعتبر هذا أمرا طبيعيا بالنسبة للنظام الفرنسي القائم على تجهيل المجتمع الجزائري وتقويض دعائمه، والقضاء التام على الثقافة واللغة العربية وبالتالي على شخصيته الوطنية.

ولذلك فإنه قام بهدم المؤسسات الثقافية، والتنكيل برجالها حيث قاوم وبكل شدة التعليم العربي الإسلامي لأنه يعلم جيدا أنه لا يمكنه بسط ثقافته، طالما بقيت ثقافة البلد المستعمر قائمة، وبخصوص هذا الموضوع جاء في تقرير موجه إلى نابليون الثالث كتبه الجنرال دوكرو (DUCROT) عام 1864 ما يلي: (يجب علينا أن نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية والزوايا كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا)، ومن خلال هذا الكلام نجد أن المدارس العربية الإسلامية كانت في نظرهم تشكل حاجزا وتحول دون قيام مدرسة استعمارية في الجزائر، ومن ثم استهدف النظام الاستعماري القضاء على التعليم العربي في البلاد ومؤسساتها)[1].

وقد ارتكزت السياسة التعليمية الاستعمارية في الجزائر على ثلاثة أسس هي: الفرنسية، التنصير، والإدماج، لكن عند تطبيقها فعليا لم تفتح أبواب التعليم

(1) عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر(1830م-1962م)، دط، ابن عكنون: الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دت)، ص104.

الفرنسي في وجه الجزائريين إلا في نطاق محدود جدا على خلاف ما يقضي به منطق الإدماج المعلن[1]

وإليك نظرة أحد المنظرين للمدرسة الفرنسية الجزائرية وهو جول فيري (Jules Ferr)حيث اقترح هذا الأخير مشروع تصوره هو الحل الكبير للمشكل الجزائري، وبما أن الجزائر مستعمرة خاصة في نظره، فيجب أن تكون لها مدرسة خاصة، ولقد تصورها ليس على غرار المدرسة التي كانت موجودة في فرنسا، بل حصر مهمتها أساسا في تكوين طبقة من الدرجة الثانية من المتعاملين مع الإدارة الفرنسية، والذين لا يكون لهم في المستقبل أي تأثير لا على الأفراد ولا على الجماعات الأهلية، وحصر مهمة هذه المدرسة في تكوين أعوان أطباء وليس أطباء وأعوان معلمين يساعدون المعلم الأساسي الذي يكون غالبا فرنسيا في نشر التعليم الفرنسي في البلاد، وواضح أن هذه السياسة كان الغرض منها تهميش الإنسان الجزائري ومجتمعه، وهكذا ينشأ الجيل الجزائري القادم في محيط عقيم ثقافيا وعلميا.[2]

ونخلص أن المستعمر الفرنسي أراد عن طريق ترسيخ المدرسة الاستعمارية ليستعملها كسلاح ضد كل ما تبقى من النظام التربوي والديني القديم.

2- موقف الشعب الجزائري

بعد عرضنا لمجموعة من الطرق والأساليب التي استخدمتها فرنسا في الجزائر للقضاء على الثقافة العربية الإسلامية وإحلال ثقافتها، نصل إلى السؤال الثاني وهو: ما هو موقف الجزائريين من مصادرة فرنسا لدينهم وثقافتهم؟

(1) يحياوي عبد القادر وآخرون: تاريخ العالم الحديث والمعاصر1870-1962م، دط، الجزائر: الديوان الوطني للمطبوعات المدلاسية، دت، ص 136.

(2) عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، ص 105.

في الحقيقة لم يتجاوب الشعب الجزائري مع السياسة الفرنسية في جميع الجهات بدون استثناء، لا سيما في المناطق التي عرفت ضغطًا فرنسيًا مكثفًا لتحويل اتجاهها الوطني، فلم يكن للإعانات ولا المساعدات التي تقدمها الإرساليات التبشيرية ولا للتعليم الذي وفرته المدرسة الفرنسية ولا للمستوطنين الفرنسيين ولا للمهاجرين الجزائريين الذين تنقلهم السلطات للعمل في فرنسا أثر في فرنسة الشعب الجزائري المسلم، ومن الأدلة على ذلك أنه رغم اجبار المستعمر الفرنسي أهل القبائل على عدم التقاضي بالشريعة الإسلامية، وإجبارهم على قانون بونابارت، فقد ظلوا متمسكين بها منفذين لها، وذلك من خلال التقاضي إلى شيوخ الزوايا والعلماء والأئمة وقفا للشريعة الإسلامية، وهو ما جعل أنسابهم تظل نقية وفقا لمراد الإسلام، وظل هذا الالتزام عند الجميع حتى بالنسبة لبعض الناس الذين يشوب سلوكهم بعض الانحراف، وهو ما جعل الحفاظ على العرض عند القبائل وغيرهم من أقدس المقدسات.

ومن الأمثلة على ذلك أيضا المفكر الفرنسي ساباتيي هذا الرجل السياسي الجمهوري المتعطش الذي حاول الدفاع – كما يظن هو-عن عادات القبائل وأعرافهم، وحاول القيام ببعض الإصلاحات في منطقة القبائل ، فحصل سنة 1882م من قرية آيت حسين لدى لبني يزاثن[1] على قانون عرفي مفاده أن لا يقوم الأباء ببيع بناتهم (المقصود هنا المهر) وأن تكون لهن حرية بيع أنفسهن، وأن لا يحدث زفاف قبل بلوغ البنت ثلاثة عشر سنة، وحسب مداولات قروية مماثلة لدى بني فراوسن وبني خليلي تم إلغاء حق الأب في البيع، وحدد سن الزواج بأربعة عشر سنة، كما تم إسقاط حق كل زوج يهجر زوجته مدة تزيد على عامين، وقد

(1) في قلب بلاد زواوة .

انظمت سبع عشر قرية إلى هذه القوانين خلال خمسة أشهر، ثم تعطلت الحركة وتوقفت، وتم إبلاغ ساباتيي عن استياء الأهالي[1].

ومن هنا نجد دائما الرفض للإصلاحات والقوانين الفرنسية من طرف الشعب الجزائري مما يدل على رفضهم لفكرة الاستعمار الفرنسي رفضا كليا .

ومن أكبر الأدلة أيضا على تمسكهم بشريعة القرآن الكريم العريضة التي نشرها العلامة البشير الإبراهيمي بعد أن أرسلها إليه أصحابها في ديسمبر 1948م ونشر نصها وامضاءات أصحابها كاملة يطلبون فيها من الحكومة الفرنسية إلغاء القوانين الخاصة بزواوة[2] في الأحوال الشخصية ويطلبون الرجوع إلى الأول وهو أحكام الشرع الإسلامي في النكاح والطلاق وما يتفرع عنهما وفي الميراث لا الوصية، وهذا بعد أن اعتقد الاستعمار الفرنسي أن النفوس ارتاحت إلى قوانينه فجاءت هذه العريضة بعدما يقارب القرن من إجبارهم على ترك الشريعة[3].

وعليه نلاحظ أن الاستعمار الفرنسي بمختلف تياراته المختلفة لم يتمكن من نزع روح الإسلام والثقافة الدينية من الجزائريين، ويرجع الفضل في ذلك إلى عوامل كثيرة كان أهمها جهود جمعية العلماء المسلمين والتي سنتناولها بعد قليل بشيء من التفصيل نظرا لأهمية الإصلاحات التي قام بها مؤسسوها للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية.

3- جهود جمعية العلماء المسلمين

لقد ساهمت مجموعة من الظروف الداخلية والخارجية في نمو الوعي الديني بين الشعب الجزائري، ويمكن أن نحددها فيما يلي:

(1) ش.ر.أجرون: المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجيات الكونيالية، ص 80-81.

(2) هي منطقة موجودة بمنطقة القبائل بتيزي وزو.

(3) جريدة البصائر: 06 ديسمبر 1948م، ص59.

- زيارة محمد عبده[1] إلى الجزائر عام1905م.

- حركة جمال الدين الأفغاني، وفكرة الجامعة العربية.

- الهجرة الجزائرية إلى الخارج والتحاق بالجامعات والمعاهد الإسلامية كالزيتونة والأزهر ومكة والمدينة.

- الحرب العالمية الأولى 1914م- 1918م

- حركة الأمير خالد[2] التي طالبت بالمساواة مع احتفاظ الجزائريين بأحوالهم الشخصية الإسلامية

- إلغاء الخلافة الإسلامية مما كان له أثر سلبي على الجزائريين.

- نمو الوعي الديني والثقافة الإسلامية، ومن ذلك تأسيس نادي الترقي بالجزائر العاصمة ثم ظهور جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م[3].

---

(1) **محمد عبده:** ولد في قرية محلة النصر سنة (1266هـ-1849م)، وتعلم بها في طنطا، ثم التحق بالأزهر عام 1865م لمدة اثني عاشرة عاما، حصل على شهادة العالمية، وعين مدرسا في دار العلوم، توفي سنة (1323هـ-1905م)، أشهر مؤلفاته: رسالة التوحيد، الإسلام والنصرانية، مع العلم والمدنية.

انظر ترجمته في: جمال الدين الأفغاني: محمد عبده، العروة الوثقى، ط1، (بيروت: لبنان، دار الكتاب العربي، (1389هـ-1970م))، ص31-33.

(2) **الأمير خالد:** هو خالد بن الهاشمي بن الحاج عبد الكريم حفيد الأمير عبد القادر الجزائري ولد بدمشق سنة 1875م، وتلقى بها علومه الابتدائية حيث تثقف على يد بعض شيوخها ، وفي سنة 1875م عاد الأمير الهاشمي إلى الجزائر بغية الاستقرار بعد أن قدم للحكومة الاستعمارية اشتهر بالصلابة وقوة الارادة وشدة الشكيمة، نفي إلى سوريا سنة 1925م، وتوفي سنة 1936م.

انظر ترجمته في: مولود عويمر: الأمير خالد الجزائري في ذاكرة الصحافة الإصلاحية، موقع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

http://www.oulama.dz/?p=80

(3) محمد بجاود وآخرون: الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، دط، دار الغرب الإسلامي، 2005م، ص158.

ولا أحد ينكر مدى مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حفظ هوية الشعب الجزائري والدفع به لنيل الاستقلال، فمجرد استقراء ما قامت به من أعمال جبارة في سياق الظروف الاحتلالية الصعبة والموارد الشحيحة وضراوة الخصم، تجعل من منجزاتها صرحا كبيرا من التضحيات والإرادة النافذة، يندر وجودها وتكرارها في العالم المعاصر على الأقل على المستوى العربي والإسلامي..

لقد اتصف العمل الإصلاحي لدى جمعية العلماء الجزائريين بالواقعية، فكانت مختلف الجهود التي بذلتها الجمعية تتعامل مع الواقع الجزائري تشخيصا لأمراضه، ثم إعطاء الحلول لتلك الأمراض التي جعلت من المجتمع الجزائري يعيش حالة احتضار حقيقية، جعلت البعض يعتقد أن معالم الهوية الجزائرية قد اندثرت، وقد كان ظهور الجمعية في المجتمع الجزائري تنفيذا لهذا الاعتقاد ولاسيما أن شعارها الذي رفعته أعاد تكريس تلك المعالم: "الإسلام ديننا الجزائر وطننا والعربية لغتنا" الذي أعلنه العالِم والمجاهد الجليل عبد الحميد بن باديس.

لقد كان مشروع جمعية العلماء رد الفعل العكسي لسياسة فرنسا الثقافية في الجزائر والمناهض لها، ويكفي دلالة في ذلك اقتران نشأتها سنة 1931 باحتفال فرنسا بمناسبة مرور قرن على احتلالها للجزائر واستتباب الأمن فيها لصالح السلطة العسكرية، ولذلك فمن الإنصاف عند تقويم مجهود الجمعية اعتبار هامش الحرية الضيق الذي أتيح لها في تلك المواجهة التاريخية المفتوحة وغير المتوازنة والوضع الثقافي في البلاد وكذا الظروف التاريخية الصعبة التي كان يعيشها الشعب الجزائري نتيجة فصله عن دينه، لذلك رأى مؤسسوها على أن العمل يجب أن يقوم –في البداية– على التربية الإسلامية لتكوين قاعدة صلبة يمكن أن يقوم عليها الجهاد في المستقبل، مع عدم إهمال الصراع السياسي، فتم تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام [1350هـ=1931م] بزعامة ابن باديس، التي افتتحت مدارس

لتعليم ناشئة المسلمين، وهاجم ابن باديس الاستعمار الفرنسي، وشنع على عملية التجنس بالفرنسية وعدها ذوبانًا للشخصية الجزائرية المسلمة، وطالب بتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، وأثمرت هذه الجهود عن تكوين نواة قوية من الشباب المسلم يمكن الاعتماد عليها في تربية جيل قادم.

اقتضى هذا إذن- كما ذكرنا- إعادة إحياء العلوم الإسلامية وإعادة ربط الجزائريين بدينهم ورسم نهضتهم التي لا يمكن أن تؤسس على أية إيديولوجية غريبة عن العقل الجزائري الإسلامي بل ينبغي أن تؤسس على التصور الإسلامي الصحيح، ولذا توجهت جهود جمعية العلماء المسلمين في تنظيرها للنهضة التركيز على العقيدة وضرورة الحفاظ على نقائها، فتجسدت تلك الجهود في أعمال علمية ركزت في إبراز البعد النهضوي للعقيدة الإسلامية[1]. وقد كانت تلك الجهود العلمية تتصف بالواقعية، فهي عبارة عن مقالات كثيرة كانت تنشر في صحف جمعية العلماء المسلمين لاسيما الشهاب والبصائر، وإما دروس مسجدية في إطار ما يعرف بالتعليم المسجدي الذي أحيته في المساجد الجزائرية، أو في مدارس التعليم العربي الحر فيما بعد وكان نموذج تلك الدروس ما كان يلقيه ابن باديس في الجامع الأخضر، كما أسهم رجال الجمعية في خدمة الدين الإسلامي كل من موقعه، فالشعراء ساهموا بقصائدهم مثل ما فعل محمد العيد آل خليفة[2]،

(1) العمري مرزوق: جهود جمعية العلماء المسلمين في خدمة العقيدة الإسلامية، مقال منشور في مجلة الدراسات العقدية والمقارنة قسنطينة العدد الثالث جويلية 2006، ص 54-56.

(2) **محمد العيد آل خليفة**: هو "حمو علي محمد العيد" المعروف باسم محمد العيد آل خليفة، من مواليد 28 أوت 1904 م بعين البيضاء، نشأ في أسرة كريمة محافظة لها اتصال بالعلم، فحفظ القرآن الكريم وأصول الدين عن علماء البلدة، ثم انتقل إلى تونس لتحصيل المزيد من العلم بجامع الزيتونة، بعدها عاد للجزائر أين تولى إدارة مدرس الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة وغيرها من المدارس الأخرى، اعتقلته السلطات

والطيب العقبي[1] ومبارك الميلي[2] ومحمد البشير الإبراهيمي..

وما يمكننا قوله أن تلك الجهود كانت جهود إسلامية جزائرية، ومن الطبيعي أن تتجه هذا الاتجاه في اهتمامهم بالدين الإسلامي بصفة عامة وبالعقيدة الإسلامية بصفة خاصة لأنها قطب الرحى في البنية الإسلامية[3].

وأما على الصعيد السياسي بدأ الجزائريون المقاومة من خلال التنظيم السياسي الذي خاض هذا الميدان بأفكار متعددة، فظهرت عدة تنظيمات سياسية منها: حزب الجزائر الفتاة، وجمعية نجم شمالي إفريقيا بزعامة مصالي الحاج الذي عرف بعد ذلك بحزب الشعب الجزائري، وتعرض زعيمه إلى الاعتقال والنفي مرات كثيرة.[4]

الفرنسية، ووضع تحت الإقامة الجبرية في بسكرة، كان يلقب بـ: شاعر الشباب، شاعر الجزائر، توفي عام 1979، من آثاره: أنشودة الوليد، رواية بلال بن رباح (مسرحية شعرية)، ديوان محمد العيد.

انظر ترجمته في: ابن سمينة محمد: محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته، دط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1992م، ص07-09.

(1) **الطيب العقبي**: هو الطيب بن محمد بن ابراهيم بن الحاج صالح، ينتمي إلى بطون قبيلة أولاد عبد الرحمن الأوراسية، ولد سنة 1890م، ساهم مع الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عين مديرا لجريدة البصائر سنة 1936م، توفي سنة 1960 بمرض السكر.

انظر ترجمته في:محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، الجزائر: المطبعة العربية الجزائرية، ج12، ص106.

(2) **مبارك الميلي**: هو مبارك بن محمد بن راع بن علي ابراهيمي لقبه والميلي نسبة إلى الميلية، ولد سنة 1998م، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، عرف الذكاء والذاكرة القوية، وانتقل إلى جامع الزيتونة لاستكمال دراسته، وهو من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين، له مقالات عديدة في مجلة البصائر والمنقذ، وله كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث..

انظر ترجمته في: محمد علي دبوز: أعلام الاصلاح في الجزائر من 1921م.-1975م دط، الجزائر: مطبعة البعث، 1978م، ج3، ص16-31.

(3) العمري مرزوق: جهود جمعية العلماء المسلمين، ص 54-56.

(4) بسام العسلي: أيام جزائرية خالدة ،ط2، (بيروت: دار النفائس، (1406هـ= 1986م)، ص

هذا بالنسبة لجهود جمعية العلماء المسلم في الحفاظ على هوية الشعب وثقافته ضد مختلف التيارات والاتجاهات الغربية.

5- نتائج المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر

استطاعت القوى الغربية الاستعمارية أن تجري تغييرات جذرية في التركيبة الشخصية والعقلية واللسانية في بعض الدول التي استعمرتها، ويكفي أن نشير هنا أن فرنسا الاستعمارية نجحت في مسخ الشخصية الثقافية واللغوية للمجتمعات الأفريقية التي استعمرتها، ويكاد لا يوجد اليوم مجتمع أفريقي لا تمثل "اللغة الفرنسية" لغة وطنية فيه تجمع أشتاته، وتؤلف بين عناصره.

غير أن هذه المقولة لا تؤخذ على إطلاقها، فنجاح فرنسا في المجتمعات الأفريقية ذات الشخصية الطيّعة المرنة القابلة للتشكيل السريع التي لم تكن تعتصم بدين أو لغة ذات عراقة وعمق لم يكن ملازما لها في المجتمعات التي استعمرتها، فقد واجهت هذه الشعوب المسلمة فرنسا الساعية إلى فَرْنَستهم وتنصيرهم، بالإصرار على الإسلام واللغة العربية التي أصبحت "لغة مقدسة" في وجدانهم؛ لارتباطها بالوحي والقرآن الكريم، ومن ثم لم تخرج اللغة العربية من ميدان المقاومة، وظلت هي والإسلام العقبة الكئود أمام الاستعمار.

وكان الاستعمار الفرنسي لا يكتفي باحتلال الأرض ونهب الثروة وتسخير الشعوب المستعمرة في خدمة أهدافه فقط؛ وإنما كان يقوم بهدم استقلالية هذه الشعوب وتحطيم حصونها الثقافية والمعنوية حتى يسهل انقيادها، ويصبح السير خلف "فرنسا" نابعا من الذات التي انقطعت عن جذورها، ويقتدي المغلوب بالغالب بعدما غاب عن وعيه الحضاري.

أدرك الفرنسيون أن الاستعمار لا بد أن يأتي يوم ويرحل، ولذا كان لا بد من إبقاء السيطرة المعنوية والثقافية على هذه الشعوب، ونجحت فرنسا في إفريقيا،

مستغلة غياب عوامل التوحد بها، لكن هذه السياسة فشلت نسبيا في بلاد المغرب العربي بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة نظرا لوجود الإسلام واللغة العربية – كما قلنا سابقا–، فمنذ احتلال فرنسا للجزائر وضعت نفسها في مواجهة مع هذين الحصنين، وأفرغت جهدا كبيرا للاستيلاء على العقل والقلب واللسان، وفق استراتيجية استعمارية تقوم على إحداث شروخ في النسيج الوطني يعطيها الفرصة للقيام بهذه العملية التي وصفت بأنها عملية "اغتصاب ثقافي للشعوب المستعمرة.[1]

وأمام هذه الوضعية ظل الجزائريون يحاولون بوسائلهم البسيطة والمحدودة مقاومة ذلك المشروع التغريبي الفرنسي بمختلف تقلباته، والذي استهدف لغتهم ودينهم كأهم عناصر الشخصية الوطنية فظل متمسكا ببعض المؤسسات التي بقيت صامدة كالزوايا والمساجد أما المحاولات الجادة والميدانية فتظهر مع بداية القرن العشرين والتي في تقديرنا كان لزيارة الشيخ محمد عبده الأثر الكبير عليها حيث تجلت المبادرة في ميلاد جمعية العلماء الجزائريين في سنة 1931م التي أخذت على عاتقها مهمة الحفاظ على مقومات الشعب الجزائري.

إن الدراسة الفاحصة لمخططات الاستعمار الفرنسي تبيّن أنه حاول اقتلاع الشعب الجزائري اقتلاعاً كاملاً من جذوره الحضارية، وعمل على تدمير شخصيته العربية والإسلامية، واجتهد في تغيير هويته التاريخية، وفرض عليه التغريب بشكل قسري وكامل، واعتبر الجزائر فرنسا ما وراء البحار، وجاء بالمستوطنين الذين أعطاهم أخصب الأراضي، وفرض اللغة الفرنسية، مما جعل مالك بن نبي وهو العربي المسلم لا يعرف الكتابة بلغته العربية، لذلك ألّف كتبه الأولى باللغة الفرنسية، ولم يستطع الكتابة باللغة العربية إلا في مرحلة متأخرة من حياته بعد أن

(1) عاشور مصطفى: الظهير البربري، مقال منشور في منتديات ستار تايمز، في 2007/04/30م انظر:
http://www.startimes.com/f.aspx?t=4185901

جاء إلى المشرق العربي وأتقن اللغة العربية فيها ليس من شك بأن تلك الأفعال الاستعمارية من اقتلاع وتدمير وتغيير وتغريب كانت لها الآثار السلبية والتخريبية على المجتمع والإنسان الجزائريين في مختلف الأبعاد النفسية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية إلخ...[1].

من خلال ما سبق يمكننا القول أنه بالرغم من تطبيق فرنسا لمجموعة من الأساليب والطرق للقضاء على الثقافة العربية الإسلامية مثل انشاء الطباعة والصحف، وتشجيع الترجمة، واستقدام الفنانين، وتغيير نظام اللألقاب المعمول به منذ قرون، بل وتحطيم جهاز القضاء الإسلامي وهدم التعليم العربي الإسلامي، إلا أن الشعب الجزائري قد صمد وثبت في وجهها، بل وحافظ بفضل مجهودات جمعية العلماء المسلمين على مقوماته الدينية الثقافية والاجتماعية، فقاوم وبكل شدة هذا المشروع الاستعماري الفرنسي.

(1) غازي التوبة: القابلية للاستعمار عند مالك بن نبي،
http://islamtoday.net/nawafeth/mobile/zview-40-10633.html

قائمة المصادر والمراجع

1- ابراهيم (الطيب): الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه، ط1، الجزائر، المنابع للنشر والتوزيع.

2- (أجرون) ش. ر: المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجيات الكونيالية.

3- الأفغاني (جمال الدين): محمد عبده، العروة الوثقى، ط1، (بيروت: لبنان، دار الكتاب العربي، (1389هـ-1970م).

4- بقطاش (خديجة): الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871م، دار دحلب.دت.

5- دبوز (محمد علي) : أعلام الاصلاح في الجزائر من 1921م.-1975م دط، الجزائر: مطبعة البعث، 1978م، ج3.

6- دبوز (محمد علي): نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، الجزائر: المطبعة العربية الجزائرية.

7- عمار (بوحوش): التاريخ السياسي الجزائري من البداية ولغاية 1962م، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي،(1998م).

8- محمد الحربي (عمر): التبشير وعلاقاته باستعمار البلاد التونسية (1830م-1881م)، د. ط، (تونس: كلية الزيتونة للشريعة، د.ت).

9- سعد الله (أبو القاسم): الحركة الوطنية، ط4، بيروت: لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1992م ج1.

10- سيف الدين(الزبير): تاريخ الصحافة في الجزائر، د.ط، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، (1982م) ، ج3.

11- العسلي(بسام): أيام جزائرية خالدة ،ط2، (بيروت: دار النفائس ،(1406هـ= 1986م).

12- عميراوي (احميدة): قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دط الجزائر: دار عين مليلة للنشر، 2005م.

13- العكاك(عثمان): التبشير والتخطيط التبشيري. د م ن.

14- صالح (فركوس): الموجز في تاريخ الجزائر، دط، عنابة: الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، (2002م).

15- مجاود (محمد) وآخرون: الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، دط، دار الغرب الإسلامي، 2005م.

16- هلال(عمار): أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر(1830م-1962م)، دط، ابن عكنون: الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دت.

17- يحياوي (عبد القادر) وآخرون: تاريخ العالم الحديث والمعاصر1870-1962م، دط، الجزائر: الديوان الوطني للمطبوعات المدلاسية، دت.

المقالات

1- بوالعبدلي(المهدي): موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر، مجلة الأصالة، سنة 1973م العدد 14.

2- بيطار(بيطار)، الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي، سلسلة عالم المعرفة، د. ط، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،(1992م).

3- التميمي(عبد الجليل): التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الغربيين، العدد 1، جانفي 1974م ، ع 5، ص 12.

4- مرزوق (العمري): جهود جمعية العلماء المسلمين في خدمة العقيدة الإسلامية، مقال منشور في مجلة الدراسات العقدية والمقارنة قسنطينة العدد الثالث جويلية 2006.

المواقع الإلكترونية

1- آسيا شلابي: الاحتلال الفرنسي وجريمة الألقاب، الشروق أون لاين، يوم 2013/06/20م.

http://www.echoroukonline.com/ara/articles/168801.htm

2- عبد القادر خليفي: السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر مقال منشور موقع الشهاب

http://chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid=1069

3- عويمر (مولود): الأمير خالد الجزائري في ذاكرة الصحافة الإصلاحية، موقع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

http://www.oulama.dz/?p=80

4- غازي التوبة: القابلية للاستعمار عند مالك بن نبي، مركز الأمة الإسلامية

http://islamtoday.net/nawafeth/mobile/zview-40-10633.htm

5- مصطفى(عاشور): الظهير المغربي، إسلام أولاين مقال

http://www.startimes.com/f.aspx?t=4185901

- جريدة البصائر: 06 ديسمبر 1948م.